التعريف بمخطوطة﴿مِهراس رُؤوس الجَّهلة المُبتدعة ومِدراس نُفوس السَّفلة المُنخدعة﴾ للفقيه أحمد بن أبي محلي

مجدوب موساوي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة سعيدة –

medjdoub70@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 02/ 10/ 2019 ؛ تاريخ القبول:18/ 02/ 2020

The manuscript definition:"Mihras ru'us al-jahala al-mubtadi'a wa Midras Noufous EL Safala EL Munkhadia " by EL Fakih Ahmed ibn Abi Mahalli

MOUSSAOUI medjdoub

Abstract:

The region of Southwest Algéria Witnessed at the beginning of the eleventh Century hijri / 17 th Century a conflict between the faqih Ahmed ibn Abi Mahalli and the mystic sidi sheikh, because of the doctrine difference between them, This conflict was dealt by Ahmed ibn Abi Mahalli in his book entitled "mahras" .Which in its entirety represents a lengthy answer from him to a questioner in them, He calls them to move away from the heresy mysticism, He rejected the behavior of sidi sheikh by proposing a set of doctrinal issues it has a direct relationship to the substance of his dispute and his struggle with him.

Keywords: Ahmed ibn Abi Mahalli; sidi sheikh; the doctrine difference; conflict; mahras ; Southwest Algéria; Morocco.

الملخص:

شهدت منطقة جنوب غرب الجزائر في بداية القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي صراعا بين الفقيه أحمد بن أبي محلي والصوفي سيدي الشيخ؛ بسبب الاختلاف المذهبي بينهما، هذا الصراع

عبر عنه أحمد بن أبي محلي من خلال كتابه الموسوم ﴿المهراس﴾؛ الذي يُمثل في مُجمله إجابة مُطوّلة منه على رسالة سائليه يدعوهم فيها إلى الابتعاد عن التصوف البدعي ورفض سلوكات سيدي الشيخ وذلك بطرحه لمجموعة من المسائل الفقهية لها علاقة مباشرة بجوهر خلافه وصراعه معه.

الكلمات المفتاحية: أحمد بن أبي محلي؛ سيدي الشيخ؛ الاختلاف المذهبي؛ الصراع؛ المهراس.؛ جنوب غرب الجزائر؛ المغرب الأقصى.

مقدمة:

عرفت كتابات الفقيه أحمد بن أبي محلي انتشاراً وشيوعاً واسعين في كل من الجزائر والمغرب الأقصى بسبب القضايا والإشكالات التي كان يثيرها ويدافع عنها، من بينها كتابه ﴿المهراس﴾ والذي لا يزال مخطوطة وقد اجتهدنا في تخريجها ودراستها وتحقيقهاعلى أمل طبعها وإخراجها للمهتمين في أوضح صورة ممكنة عن أصلها الذي كتبه المؤلف.

وقد رَغّبنا من خلال مقالنا هذا؛ أن نُعرف بهذه المخطوطة وبصاحبها فهي في مُجمل مضمونها العام تُمثل صورة حيّة لوجه من أوجه الصراع الذي كان يحدث بين العلماء بسبب الاختلاف المذهبي، فالمخطوطة نموذج مُعبر لهذا النوع من الصراع الذي أعلنه الفقيه أحمد بن أبي محلي ضد الصوفي عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ في كتابه هذا.

النص: التعريف بصاحب المخطوطة:

هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابن محلي.ولد بتافيلالت يوم الثلاثاء في العشر الأواسط من شوال 967هـ-1559م. ثائر متصوف، من العلماء.

تلقى تعليمه الأولي ببلدته تافيلالت على يد والده الذي اعتنى به منذ الصغر في حفظ القرآن وتلقين مبادئ العلم، فلولاه كما يقول ابن أبي محلي «لضعت، فجزّاه عنّا خيرا في ضبطه، وضغطه».

وفي مرحلة ثانية من مساره العلمي انتقل إلى فاس في حدود سنة 980هـ-1572م، أقام بها مدة تزيد عن خمس سنوات.أخذ عن علمائها وبعدها تنقل عبر مختلف المراكز العلمية الكبرى في المدن والقرى والمداشر بحثا عن العلم والعلماء قصد توسيع مداركه العلمية.كما أخذ مبادئ التصوف خاصة عن شيخه ومربيه وعمدته فيه أبا عبد الله الشهير بمحمد بن مبارك الزعري والذي لازمه ثمانية عشرة سنة.

وبعد أن حجّ وتصوّف وكثّر أتباعه، استقر بمنطقة وادي السَّاورة وكاتب رؤساء القبائل وعلماء البلدان يحضُّهم على الاستمساك بالسّنة ويُشيع أنه المهدي الفاطمي (المنتظر).ادّعى أنه من ذريّة السيّد العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه-.

استولى على سجلماسة بعد قتال فأظهر بها العدل وغيَّر المنّاكر وقدمت عليه وفود أهل تلمسان والراشدية يهنئونه بالنصر، كما زحف إلى مراكش بعد أن هزم جيش السلطان زيدان واستقر بها ملكا.إلا أنّه نسيَّ ما بني عليه أمره من التقوى والنّسك فهاجمه متصوف آخر من العلماء اسمه يحي بن عبد الله الحاحي انتصارا للسلطان زيدان بن أحمد فكانت المعركة على أبواب مراكش وأصيب ابن أبي محلي برصاصة قتلته وعُلق رأسه مع رؤوس بعض أنصاره على سور مراكش نحو اثنتي عشرة سنة، وزَعم أصحابه أنه لم يَمُت وإنّما تغيَّب.

أما مدة سلطته على المغرب فكانت زهاء ثلاث سنوات.ترك العديد من التآليف في النثر والشعر.(أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿أ﴾: 187؛ حجي محمد، 1978: 625؛ بن منصور عبد الوهاب، 1990: 286؛ واحيحي سعيد، 2009: 13-74؛ الزركلي خير الدين، 1980 : 161)

التعريف بالمخطوطة:

العنوان:

أورد الفقيه أحمد بن أبي محلي عنوان مخطوطته كاملا في الورقة 12 منها؛ بـــ: ﴿**مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس نفوس السفلة المنخدعة**﴾.كما ذكرها تلميذه عبد الكريم بن محمد بن أبي محمد المريني التواتي في كتابه الرحلة مختصرة؛ بعنوان:﴿مهراس للرؤوس ومدراس للنفوس﴾ (أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿ب﴾: 114-115؛ عبد الكريم بن محمد، بدون سنة: 28).

نُسخ المخطوطة: توجد مخطوطة المهراس في نسختين؛ الأولى بالخزانة العامة بالرباط بالمغرب الأقصى والثانية بالزاوية البوعبدلية ببطيوة بوهران بالجزائر.

وصف المخطوطة:

النسخة الأولى:

رمزها الحرف ﴿أ﴾ وهي نسخة مجلدة بالورق المقوى، كاملة ومنظمة ومرقمة ضمن مجموع من الورقة 12 إلى الورقة 232 ورقة، مقاسها 15سم/ 20سم، عدد الأسطر في كل ورقة مختلفة لكن في معظمها 23

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

سطرا، وفي كل سطر17 كلمة، الخط مغربي مليح ملون، حالتها جد سيئة.

ناسخها هو محمد الغندور بن الحاج عبد الرحمان التزدايتي ثم الجراري على الورق، يوم الاثنين 12 جمادى الأولى 1030هـ موافق نحو 4 أفريل 1621م بإقليم توات جنوب غرب الجزائر.

المخطوطة توجد بها تعقيبات وحواشيها قليلة، كما لا توجد بها حليات ورسوم أو جداول، ألفها أحمد بن أبي محلي بالسّاورة – جنوب غرب الجزائر –، يوم 10 ربيع الثاني 1019هـ موافق نحو 2 جويلية 1610م.المخطوطة موجودة بالخزانة العامة بالرباط بالمغرب الأقصى تحت رقم 192ك، كما توجد نسخة أخرى على شكل ميكروفيلم بنفس الخزانة تحت رقم MMF/ 99 058، نوعيتها 1461.

بداية المخطوطة من الورقة 12؛ وهي:

﴿بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما؛ الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، هذه نسخة سؤالين مع جوابهما الملقب من مؤلفه أحمد بن عبد الله وفقه الله وأيّده بمهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس نفوس السفلة المنخدعة...﴾.

نهاية المخطوطة في الورقة 232؛ وهي:

﴿...وقد تم الجواب؛ والحمد لله على إكمال الكتاب، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله عدد المصيب والمصاب، وما توفيقيّ إلا بالله تعالى لجادة الصواب، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.انتهى﴾ (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 232).

ملاحظة:

الأوراق من 1 إلى 11 هي ليست من كتاب المهراس وإنما زادها الناسخ؛ وهي تتضمن رسالة يُجيب فيها أحمد بن أبي محلي على من اعترضه في الجهاد ضد السعديين بالمغرب الأقصى، ولتحرير بلاد العرائش من الأسبان.مؤرخة بتاريخ 1 صفر 1020هـ موافق لـ 15 أفريل 1611م.

كما تتضمن الورقة 11؛ جواب من أحمد بن أبي محلي لسؤال أحد أبنائه إليه عن من يحب ومن يبغض، بغرض التأسي به وهي غير مؤرخة.

أما الورقة 233 وهي الأخيرة فهي ليست من كتاب المهراس أيضا؛ إنما هي تعقيب من الناسخ يفيد الشخص الذي يعسر عليه الحفظ وهي عبارة عن دعاء.

النسخة الثانية:

رمزها الحرف ﴿ب﴾، وهي مخطوطة بالزاوية البوعبدلية ببطيوة بوهران بالجزائر بدون رقم التصنيف، أفادنا بذكرها المستشرق -جاك بارك -(jacques BERQUE, 1982: p. 274)

منهجية كتابة أحمد بن أبي محلي لمخطوطة المهراس:

تميّزت كتابته لمخطوطة المهراس بجملة خصائص؛ نوجزها فما يلي:

- قام بوضع أبواب وفصول لمخطوطته، كما حرص على تفادي التكرار واللجوء دوما إلى إحالة القارئ على أبواب المسألة – التي تذكر عرضا أو للتذكير-.

– كان يلجأ باستمرار إلى طرح الأسئلة؛ إذ يعتبرها نصف العلم وبها يُزيل الغموض أو الجهل عن القرّاء.

– كان حريصا في ذكر مصادر أفكاره وأخباره في مخطوطته للأمانة العلمية، وذالك بالإشارة إلى أسماء من أخذ عنهم دون أن يذكر لنا عناوين كتبهم إلا نادرا.كما لجأ مرارا إلى استعمال الشهادة العينيّة أو الرواية الشفوية.

– كان يتدخل في النصوص التي يوردها في مخطوطته هذه؛ بلجوئه باستمرار إلى التضمين والاقتباس من القرءان الكريم والحديث الشريف، ويورد الأشعار والحكم الصوفية وأمثلة عن الإشارات التاريخية التي عاصرها.

– كان يُذكر القارئ بالعيوب والأخطاء التي كان يجدها في النصوص؛ أما عن أسلوبه فقد غلب عليه السّجع، فكان لا يلجأ إلى تبسيط كتاباته (القدوري عبد المجيد، 1991: 89-92).

– حرص أحمد بن أبي محلي في مخطوطته هذه؛ على تدوين تواريخ كتاباته ومكانها، بل حتى كتابات غيّره من الذين عاصروه، وكثيرا ما نجده يقدم لنا استدراكات وتنبيهات للشرح والتعليق والتأكيد.

– الكثير من كلامه في مخطوطته المهراس؛ هو إعادة لما أورده في كتبه السابقة بصفة عامة والمنجنيق والسيف البارق بصفة خاصة، حول نقد التصوف البدعي الممثل في شخص سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد وقذحٍ لصهره الفقيه القاضي الشيخ محمد عبد الله بن عبد الكريم الجراري.

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

– اجتهد أحمد بن أبي محلي في مخطوطته المهراس؛ في تقديم الدلائل والبراهين من مختلف المصادر لسائليه قصد إقناعهم وإرغامهم على الاعتراف به، وفي هذا نجده يقول لأحد سائليه مثلا:﴿...فجلبت لك على كل مسألة أدلة فرقانية وبراهين عقلية وقربانية؛ يَشهد بصحتها أو ضدها المسلم العالم، ولا يَعمى عنها إلا المبلس الجاحد لشهادة الله كاتم...﴾ (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 170).

ويقدم إجابته لسائليه في مخطوطته هذه؛ بلغة الواثق من نفسه والمتحدي لخصومه في مرات، كقوله مثلا لصالح إبراهيم بن أحمد بن عمر:﴿...فكل ما أشكل عليك إن كنت صادقا في طلب بيانه؛ فقد أوضحتُه لك أيُّ إيضاحٍ، يبلغ المشرق والمغرب إن شاء الله، لينظُر فيه من سَيَقف عليه من أهل العلم والصلاح؛ فإن استطعت أنت وقبيلك رد شيء منه؛ فلا تقصِر وأنا ضامن لكم الإنصاف من نفسي، إن بيَّنتُم الدليل بيانا شافيا كافيا كل مستبصر...﴾(أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 170-171).

وفي مرات أخرى يُعلق عليه بلغة الساخر والمستهزئ؛ كقوله له مثلا:﴿...وأما أنت فحقك الإهمال وعدم المبالاة بمقالك؛ لأنك لم تسلك فيه سبيل من يطلب العلم من بابه من الرجال، بل عنْفت وتعسّفت وتورَكت وما اعتدلتَ، ولولا قصدي إفادة الغيّر وايزال إبهامك لو سكتُ عنك ما تكلمت...﴾(أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 154).

كما نجده في مخطوطته هذه؛ كثيرا ما يتهم سائليه بأنّهم حرّفوا كلامه وغيّروه، كقوله لأحد سائليه:﴿كيف أسقطت من كلامي عين

فائدته؛ وبدلت لفظه وحرفت معناه؟ ألم أقل في الجواب ما هو هذا؟﴾(أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 155).

– اعتمد أحمد بن أبي محلي إلى جانب القرآن الكريم على مصادر كثيرة؛ منها: صحيح مسلم، المدونة، الثعالبي، المنهج الفائق والمنهل الرائق للونشريسي، حاشية اللقاني، التذكرة، ابن عرفة، البيهقي، النوازل المازونية، شرح العمدة ابن دقيق العيد، الحكم لابن عطاء الله...

الدافع لتأليف أحمد بن أبي محلي لمخطوطة ﴿المهراس﴾:

الدافع من كتابته لمخطوطة ﴿المهراس﴾؛ هو الإجابة على ما ورد إليه من سؤاليّ الفقيهين سيدي أحمد بن حدوش بن سيدي موسى البريشي وصالح إبراهيم بن أحمد بن عمر، فيما أُشكل عليهما من كلامه في كتابه المنجنيق وردفه (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 208).

بخصوص مسائل غيبيّة طَرحها لم تَتحقق في الوقت الذي حَدده هو بنفسه؛ كحديثه عن خصمه سيدي الشيخ بأنّه لا يتجاوز هذه السنة إما بموت أو بفضيحة أو بتوبة، وذِكره لتاريخ ظهور المهدي المنتظر عام تسعة عشر وألف، إلا أن هذا لم يحدث مما أدى بالناس إلى عداوته وعداوة سائليه.وفي هذا يقول أحمد بن أبي محلي بأن سؤالهما؛ كان سببا في نشر كتبه في الأرض بالطول والعرض (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 33)؛ وأنه سَمى إجابته لسائليه عنوانا لمخطوطته بـــ:﴿مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس نفوس السفلة المنخدعة﴾؛ كما يذكر أنّ النصيحة هي التي دفعته إلى إجابة سائليه بقصد هدايتهم وهداية غيرهم.

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

مضمون مخطوطة ﴿المهراس﴾:

تعتبر مخطوطة المهراس تلحيقا وتتميما لكتابيه السابقي التأليف؛ وهما: ﴿منجنيق الصخور...﴾ وردفه ﴿السيّف البارق...﴾؛ فبيّن ما أبهم فيهما في المهراس لسائليه الفقيهان البريشي وصالح إبراهيم.

فالمخطوطة في مجملها؛ عبارة عن إجابة مطولة من مؤلفه على رسالة سائليه، اللذان دعيّاه بأن يُراجع مواقفه وأفكاره اتجاه سيدي الشيخ، هذه الدعوة انقلبت إلى منافرة وصدام وتجريح منه ضدهما.

المخطوطة تحمل في كثير من ثناياها هجاءً لاذعًا وساخرًا من كاتبها إلى شخص سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد؛ وسائليه اللذان يتهمهما بأنّهما يتغافلان انحرافات شيخهم سيدي الشيخ، كما نجده يلومهما ويلوم أمثالهما بأنّهم يتعالون في الظنون ولا ينهون في الأمور عند حدودها، كما يتهمهما بأنّهما قَوَّلاه ما لم يقل، وأنهما حَرَّفا وبدلا كلامه عن مواضعه، بل أكثر من هذا يتحداهم بقوله بأنّ كلامه لا يزال قائم البناء حتى الآن في كتبه، وهو يوكل الله سبحانه وتعالى في مخطوطته هذه على أمر المتهجمين عليه بالظنون والأوهام ومن كل ما يثير، كما نجده يَّحتمل بأنهم يريدون خداعه فالله حسبه.

كما نجده في مخطوطته هذه؛ يحاول أن يقنع الناس بأسباب صراعه مع سيدي الشيخ، وأنّ معاداته له هي لله تعالى لا للدنيا (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 222)؛ ويتهمه فيها بالكذب على الله ورسوله في إدعاء الولاية (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 60)، وبالتصوف البدعي من خلال سلوكاته وممارساته اليومية، وكثيرا ما يوصفه بأوصاف قبيحة.

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

ومخطوطته ﴿المهراس﴾ هي دعوة صريحة منه إلى سائليه؛ وإلى الخاصة والعامة بعدم السكوت عنه، مستدلا لهم بأحداث واقعة وشواهد من الكتاب والسنّة وأقاويل أهل العلم والقصص المأثورة من السلف.

كما يدعوا سائليه إلى الابتعاد عن التصوف البدعي الممثل في شيخهم سيدي الشيخ؛ وهو تصوف العامة ويدعوا إلى التصوف الصاف، ولأجل هذا الغرض اجتهد في مخطوطته على طرح مجموعة من المسائل الفقهية لها علاقة مباشرة بجوهر خلافه وصراعه مع سيدي الشيخ، استخدمها كدلائل وبراهين لسائليه لإثبات إدانته لخصمه، كما راسل علماء عصره فيها وتباحث معهم حولها؛ ومن هذه المسائل التي طرحها بالشرح والتعليق والاستدلال؛ نجد:

مسألة العلم والعلماء، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنواع المناكر ودرجاتها، الشتم بالسب واللعن والإغلاظ على المستحق، القذف الصريح، الخلوة بالأجنبية، البيعة، البدعة، الغيبة، تأخير الصلاة...؛ وكثيرا ما نجده يشير في هذه المسائل إلى سيدي الشيخ ويوجه إليه كثير من التهم.

كما أفادنا أبو محلي من خلال المهراس؛ بأنَّ له كتابا آخر سمّاه ﴿الصراط المستقيم إلى حضرة الرحمان الرحيم﴾ أو ﴿كاشف الغمة عن هذه الأمة﴾.

يتحدث أبو محلي في الفصل الرابع من المخطوطة؛ عن ظروف علاقته بسيدي الشيخ من بداية تعارفهما إلى نهاية افتراقهما ونشوب العداوة بينهما، إذ يذكر بأنه التقى معه مرتين سنة 1008 وسنة 1011 أو 1012.اللقاء الأول تَم بطلب من سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

إليه؛ لرغبة منه في تدريس أبنائه، وهو ما ذكره عنه؛ بقوله: ﴿...هـا نحـن ننتظر قدومك علينا منذ سألنا منك ذلك؛ لينتفع أولادنا منك ببعض مـا منّ الله عليك إن شـاء الله تعـالى...﴾(أحمـد بـن عبـد الله ، بـدون سـنة ﴿ب﴾: 120).

هذا اللقـاء تطـور إلى تعـارف واهتمـام متبـادل بـين الـرجلين تُـوِّجَ بمصاهرة بينهما؛ وفي هذا يقول ابن أبي محلي: ﴿...فلما ألمت به في هذه المرة الثانية رحب بي ...، وبالغ في الإكرام بالقول والفعل علـى رؤوس الأشهاد، ... ثم أكد ذلك كله بأن زَوَّجني أجمل بناته لوجـه الله تعـالى في ظني لا غير...؛ فحمدت الله تعالى الـذي جمـع بـيني وبينـه...، فمدحتـه حينئذ وقبله وبعده قريبا بقصائد تنويها بما فعل معي، مما لا يصدر إلا من مؤمن يحب في الله تعالى لا في سواه...﴾ (أحمد بن عبد الله ، بـدون سـنة ﴿ب﴾: 96).

غير أنّ هذه العلاقة مع سيدي الشيخ لم تدم سوى شـهر ونصـف؛ لينقلب ما كان بينهما من ود إلى كره، بسبب ما رآه منه من سلوكات غير سويّة وهو بداره بالشـلالة الظهرانيـة (أحمـد بـن عبـد الله ، بـدون سـنة ﴿ب﴾: 94).في حين تميّزت علاقته مع ابنه الزروقي بالحسنة وكـثيرا مـا يذكره بالخير في هذه المخطوطة.

فالمخطوطة تمثل تصريحا رافضا من مؤلفها لسلوكات صـهره سـيدي الشيخ؛ بعدما انكشفت حقيقته كما ذكر؛ ولأجل هـذا بـادر إلى معاداتـه وأجهر بقطيعته؛ وفي هذا يقول:﴿...فلما بلـغ الكتـاب أجلـه في الشـهر ونصـفه، إذا بمـآثر المكـر ومخايـل الغـدر تلـوح منـه ومـن أصـحابه وخدامه...حتى بان لي كذبه أولا بلا شك في أمور لا تقبل التأويل بوجه

من الوجوه، وظهر لي دبيب نفاقه وخفي شقاقه... حتى انفصلنا عن عداوة بينة...﴾ (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 98-100).

أما عن ممارسات سيدي الشيخ غير السّوية؛ والتي كانت سببا في الخصومة، فهي التي تشكلت منها أغلب مضامين المخطوطة؛ متمثلة في:

- خُلوه بالمرأة الأجنبية (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 42، 45، 48-49، 108-109، 185)؛ وهي التهمة التي ركز عليها كثيرا بكلام ساخر وعنيف، وهذا بعد أن رفض منه النصيحة، ويعطينا المؤلف عدة حالات في هذا الموضوع.

- أكله لأموال الناس بالباطل؛ وجمعه للزكاة دون توزيعها على مستحقيها، والاحتفاظ بها لنفسه؛ وفي هذا يقول أحمد بن أبي محلي:

جَعلتُم زَكَاة العرب شَرقا ومَغربا حُظُوظًا لِنفسِكم وَلم تك تشْبع
أَخذتُم مِن الأَعْرَابِ أَثمَان جَاهكم فَجل اكْتسَابكم مِن الجَاهِ ينْبع

- إغارته على أولاد انهار (أنظر التعليق رقم1) وطلب الدية منهم.

- انتسابه إلى فرقة الشراقية أو العكازية (أنظر التعليق رقم2) وهي فرقة ظهرت بالمغرب.

- محاولة قتله بتسميمه (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 33، 94، 216)؛ وفي هذا يقول أحمد بن أبي محلي:﴿إذ آل أمري إلى أن كنت أوميء بشيء كأنه قطع كبدي من الداء القتال الذي سقيته أو أطعمته يومئذ في داره بالظن الراجح...﴾ (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 99).

- تأخيره لصلاة العصر؛ وفي هذا يذكر عنه أنه:﴿...يواظب على إخراج الصلاة المفروضة عن وقتها المختار فذا وفي الجماعة دون عذر

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

شرعي؛ كالعصر وهي الوسطى إلى الغروب أو قربه...هل يصح...أن يكون وليا...﴾ (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 168).

– كذبه على أهل فجيج في تقديمه المسمى يوسف العتروس للناس إماما؛ وأخذه البيعة منهم له على أنّه المولى زيدان بن السلطان أحمد المنصور الذهبي (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 16، 146).

– طعن المؤلف وتشكيكه في صحة نسبة قصيدة الياقوتة إليه.

هذه السلوكات غير السّوية يذكر صاحب ﴿المهراس﴾؛ بأنّها كانت سببا في تأليفه لكتاب القسطاس، ومغادرته إلى بلاده ببني جومي وتطليقه لابنته (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 94).

كما تضمنت المخطوطة إشارات إلى الأشخاص الذين هجوه وصاحوا عليه وعلى بدعته؛ بعرض قصائدهم أو أبيات منها، كالجومي (أنظر التعليق رقم3) وأبو عبد الله بن مشرف الراشدي (أنظر التعليق رقم4) وابن أبهلول (أنظر التعليق رقم5) ...؛ ويذكر أنَّ القصد من هذه الإشارات هو تكثير إقامة الشهود عليه (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 131).

كما تضمنت المخطوطة؛ مُناظرة عالم الإسلام ومفتي الجزائر وخطيبها سعيد بن إبراهيم الشهير بقدورة وسيدي الشيخ عبد القادر بن محمد، والتي كانت بتاريخ أوائل صفر من سنة 1019هـ؛ إذ انتقل قدورة إلى حاضرة فجيج خصيصا لمناظرة سيدي الشيخ حول اتهامات أحمد بن أبي محلي التي وجهها إليه، بحضور شهود عدول كسيدي محمد بن أبي بكر (أنظر التعليق رقم6) وابن بودي (أنظر التعليق رقم7) وسيدي عبد

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

الجبار وأخيه أحمد إبنيّ أمقران في آخرين؛ إلا أنه لم يصل إلى حكم قاطع بخصوصها نفيًا أو إثباتًا (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 62).

كما تضمنت المخطوطة؛ الكثير من الفتاوى في مسائل فقهية متنوعة، لها علاقة بالمواضيع التي طرحها السائلين على مؤلفها، والتي جعلها كرد لهما في إجابته، معتمدا في ذلك على نصوص الكتاب والسنّة وأقوال السّلف الصالح والأثر المأثور ومراسلات للعلماء المعاصرين بغرض إقناعهما ودفعهما للاعتراف.

كما احتوت المخطوطة على الكثير من الرسائل التي وصلت إلى صاحبها؛ والتي تندرج ضمن نوع الرسائل الإخوانية، المتنوعة المواضيع (كرسائل التهنئة (أنظر التعليق رقم8) ورسائل الشوق وتجديد العهد (أنظر التعليق رقم9) ورسائل العتاب والاعتذار (أنظر التعليق رقم10) والرسائل العلميّة (أنظر التعليق رقم11)، وفي مُجملها رَدّ وعلق عليها ابن أبي محلي، وكانت هذه الرسائل في أيام الصفاء بينه وبين مراسليه في بدايات القرن الحادي عشر هجري.

كما نجد فيها رسالة ابن أبي محلي إلى الزروقي ابن سيدي الشيخ؛ يستفسره عن تأخر صداق ابنتهم المطلقة منه ونفقتها إن كانت عليه، ويطلب منه حضور وكيل لأبيها ووكيل لطليقته مع شهود عدول لقبض الصداق حسب نص وثيقة عقد نكاحهما المتفق بينهم، وأن لا يلومونه في ذلك إذا ما تأخروا.

كما أورد لنا أيضا ابن أبي محلي رسالة سيدي الشيخ إليه؛ والمتعلقة بوكالته لابنته المطلقة لقبض ما ترتب لها من الصداق وما ذُكر معه.ويُعطينا تفاصيلا عنه كمكانه ببني جومي وتاريخه بأواسط المحرم فاتح

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

تسعة عشر وألف وثمنه وشهوده العدول الحاضرين من الجانبين وغيرها من التفاصيل الأخرى (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 226-227).

كما تحدث أبو محلي في مخطوطته ﴿المهراس﴾ عن الإمام الفاطمي الهادي المهدي وعرض فصلا عنه؛ مما جعل العلماء يستفسرونه فيما يقول (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾:10، 154).كما حاول أن يُقدم نفسه مهديا منتظرا وصاحب دعوة؛ منها قوله:﴿بأني قطب الأمة، وشمس وقتي وإمام قبلتي، وسيد أهل حضرتي وملك زماني في الاستنباط﴾ (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 119).وقوله أيضا: ﴿وإني قطب الوقت وبركته وعلمه الأسنى وحجته﴾(أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 132).

كما احتوت المخطوطة في أوراقها الأخيرة على مجموعة من القصائد الهامة؛ والتي تندرج في معظمها ضمن ما يسمى بشعر النقائض الذي ظهر بفجيج في أوائل القرن الحادي عشر، استجابة لظروف متمثلة بصفة خاصة في الصراع المذهبي بين سيدي الشيخ وابن أبي محلي لتتوسع دائرته إلى جماعة من أنصارهما، إذ تعتبر هذه القصائد وثائق تاريخية مهمة، وصور صادقة للواقع الاجتماعي والفني الذي كانت تعرفه فجيج خلال هذه الفترة الزمنية.

كما احتوت المخطوطة أيضا على قصائد أخرى في المدح؛ ممثلة في قصائد القاضي محمد عبد الله بن عبد الكريم الجراري في شيخه وصهره سيدي الشيخ، يعبر فيها عن حنينه إليه ويفصح عن رغبة جامحة في ملازمته وهجر كل ما من شأنه أن يشغله عن التبرك بطلعته المشرقة، وفي

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

أخرى له يمجده ويتغنى بقدرته على علاج النفوس المريضة، بما وهبه الله من حلم واسع وجمال وروح؛ وهي تعكس مدى وفائه وتعلقه بشيخه (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 210-213).

كما ضمت المخطوطة أيضا قصائد في الهجاء لأحمد بن أبي محلي وأنصاره؛ غلب عليها طابع العنف والسخرية القبيحة، وقصائد أخرى في الفخر يعرض فيها بعدوه سيدي الشيخ وأصحابه (أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿ب﴾: 210-214، 218-219).

كما ضمت أسئلة صاحبها إلى علماء عصره؛ وأجوبتهم حول ممارسات خصمه سيدي الشيخ غير السّوية والتي سبق وأن ذكرناها؛ منهم: أبو العباس أحمد بن عبد الله اليزناسني التلمساني، سيدي محمد بن الحاج الودغاغي، سيدي عبد الحكم بن عبد الكريم الوطاسي، أبو عثمان سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم الجزائري (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 174-175).

كما يذكر أبو محلي أنّ كتابته كانت سببا كبيرا في تولي الكثير من أتباع سيدي الشيخ الخصوص والعموم عنه؛ ومنهم سيدي يحي بن صفية وأولاده، وأخيّار أولاد بن عبد الجبار، وأولاد نهار، وسيدي محمد الصغير، وعبد الرحمان بن عبد العزيز... (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 147-148).

كما نجده يوصي كل من طالع مخطوطته هذه مع أصلها؛ وكان من العلماء الذين لا يشهدون الزور ولا يستهويهم الغرور ورأى شيئا منه مخالفا للحق المأثور، فليحرقها أو يمزقها بعد التثبت (أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿ب﴾: 209).

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

الخاتمة:

ومما سبق ذكره حول مضمون هذه المخطوطة التي احتوت على كثير من الفوائد العلمية المتنوعة؛ يتبيّن لنا أنّ الصراع بين الفقيه أحمد بن أبي محلي والصوفي سيدي الشيخ لم يكن مبنيا على أسس مقنعة، والدليل الذي لمسناه من خلال هذه المخطوطة أنَّ الشيخ لم يكن له أي رد على ما جاء به خصمه مما يجعلنا نتساءل عن حقيقة الصراع بينهما، هل هو فعلا صراعا مذهبيا بين الرجلين ينتظر منه توبة الشيخ وعدوله عن ممارساته غير السّوية التي ذكرها ابن أبي محلي؟ أم هناك أسباب أخرى غير هذه، ونترك باب البحث والتقصي متواصلا لباحثين آخرين ربما يتوصلون إلى نتائج جديدة لهذا الصراع.

التعليقات والشروح:

1- ينتسبون إلى الولي الصالح سيدي يحي بن صفية ابن عمة سيدي الشيخ؛ يقطنون اليوم ضواحي سبدو والعريشة بتلمسان.

2- العكاكزة: قال عنهم ابن أبي محلي: ﴿...وهم قوم لا غيرة لهم على الحريم ويقولون المرأة كالسِّجادة صلِّ عليها وأعط لأخيك﴾.ويقولون أيضا: ﴿نحن نأكل من حبة ونبيت في جبة ونشرب من جعبة﴾ (أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿ج﴾: 133، 145).

3- كان لسيدي الشيخ خصمان بنفس كنية ﴿الجومي﴾؛ هما:

- أبو داوود سليمان بن موسى الجومي؛ ينعته أبو محلي بـــ ﴿الفقيه القاضي﴾.أديب متصوف؛ كان من أكثر الطلبة لمجالس أبي القاسم، له قصائد في هجو سيدي الشيخ، يعد من أخلص أصحاب ابن أبي محلي وأودهم، توفي سنة 1040هـ-1631م (أحمد بن عبد الله، بدون سنة

﴿ج﴾:156، 294؛ بنعلي محمد بوزيان، 1987: 152).

- سليمان بن محمد بن عمر الجومي؛ أحد علماء بني جومي، فصيح بارع.شارك بشعره في الصراع بين سيدي الشيخ وابن أبي محلي منتصرا لهذا الأخير، وكله في هجاء سيدي الشيخ أشهرها قصيدته الضادية.توفي سنة 1017هـ-1608م (أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿ج﴾:187؛ بنعلي محمد بوزيان، 2005: 312).

4- فقيه نحوي؛ نزيل قرى بوسمغون، من بين الذين صرحوا ببدعة سيدي الشيخ وصاحوا عليه (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 215-216).

5- هو الإمام والعالم محمد بن علي أبهلول المجاجي؛ ولد عام 945هـ-1538م، اشتهر بالصلاح والتقوى، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم، لبركته ودعاءه المستجاب، وهو من تلامذة عالم الجزائر سيدي سعيد قدورة.مات -رحمه الله تعالى- قتيلا سنة 1002هـ-1593م (الحفناوي محمد، 2007: 279-289).

6- نعتقد أنه هو أحمد بن أبي بكر السكوني؛ من تلامذة الشيخ أبي القاسم الفجيجي، تلقى عنه علوم الفقه والحديث، وأجازه صحيح البخاري وسائر مروياته ذا قدم راسخة في التصوف وذا حظ عظيم في الأدب (بنعلي محمد بوزيان، 2000 ﴿ج﴾: 158).

7- يكنى بأبي العباس من تيكورارين؛ شاعر وناثر.ولد فيما بين 950-955هـ/ 1543-1548م.كان ملازما لحلقات العلم لسيدي الشيخ حتى صار من أقرب المريدين إليه.توفي قبل سنة 1056هـ-1646م.تاركا الكثير من الكتابات والأشعار أهمها قصيدة: ﴿روضة

الأحزان ومهجة قلوب الإخوان..﴾ (السكوني أحمد، 1991: 187؛ أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿ج﴾: 188، 287-288، 324-325؛ بنعلي محمد بوزيان، 2000: 299).

8- نجد مثلا رسالة الأديب والفقيه أحمد بن عبد الرحمان بن بودي إلى أحمد ابن أبي محلي؛ يهنئه فيها بمناسبة شفائه من مرضه، الذي يزعم أنه أصابه بسبب تسميم عبد القادر بن محمد له.ورسالة تهنئة القاضي محمد عبد الله بن عبد الكريم الجراري، بمناسبة قدومه من الحج؛ ويطلب منه ثوبا أو ثوبين يلبسه يوم الجمعة والعيدين للبركة.كما للقاضي محمد رسائل أخرى؛ يدعوا له فيها بالشفاء من المرض، ويطلب منه في أخرى صالح الدعاء له ولأبنائه (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 123-125).

9- نجد بصفة خاصة رسائل محمد الصديق بن عبد القادر المشهور بالزروقي إلى أحمد ابن أبي محلي؛ يلتمس منه الدعاء وتجديد العهد له (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 22، 120-124).

10- نجد في هذا مثلا رسالة محمد بن عبد الرحمان السكوني إلى أحمد ابن أبي محلي؛ والذي كان يشك في صدق ولائه إليه (أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿ب﴾: 229-230).

11- نجد في هذا مثلا رسالة سيدي الشيخ إلى أحمد ابن أبي محلي؛ مؤرخة بتاريخ جمادى الأولى عام ثمانية وألف، يطلب منه القدوم إليه حتى ينتفع أبنائه من علمه، كما يطلب منه شرحا لقصيدته المعروفة بالياقوتة.ورسالة القاضي محمد عبد الله بن عبد الكريم الجراري مؤرخة بتاريخ عشية سبعة عشر من ذي القعدة سنة أربع وألف، يطلب فيها منه

تأويل آية قرآنية وحديث شريف (أحمد بن عبد الله ، بدون سنة ﴿ب﴾: 120).

ملاحق:

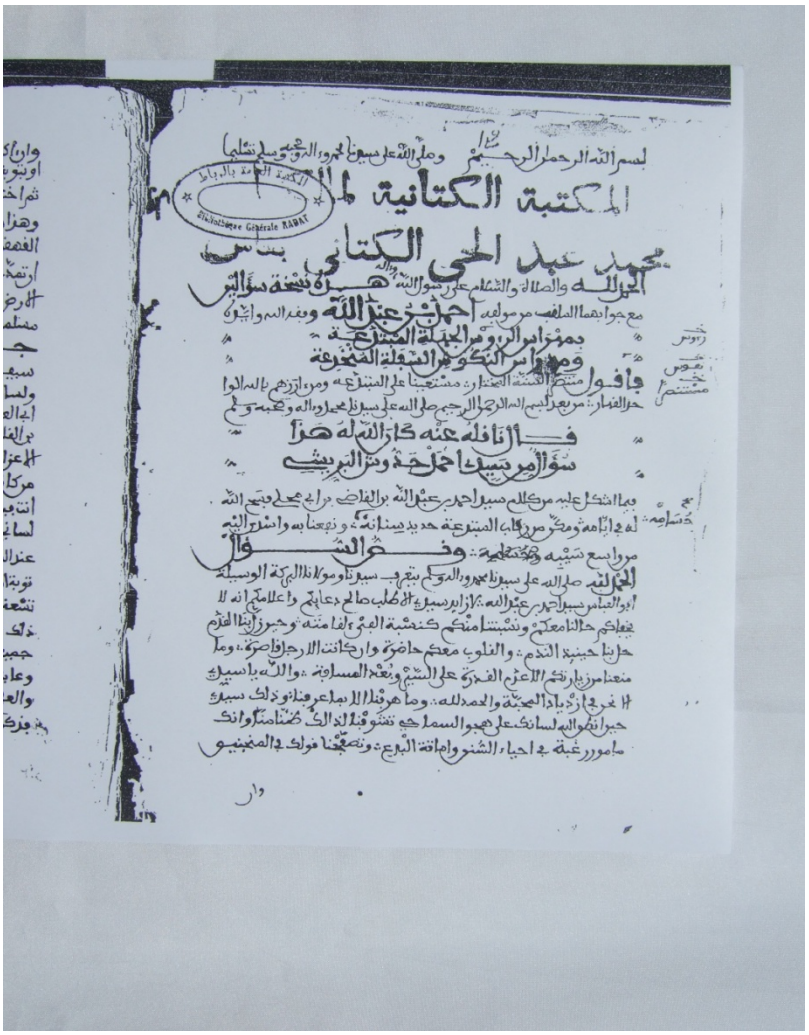

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 117 - 140

الورقة الأولى من كتاب المهراس (أحمد بن عبد الله، دون سنة ﴿ب﴾: 12)

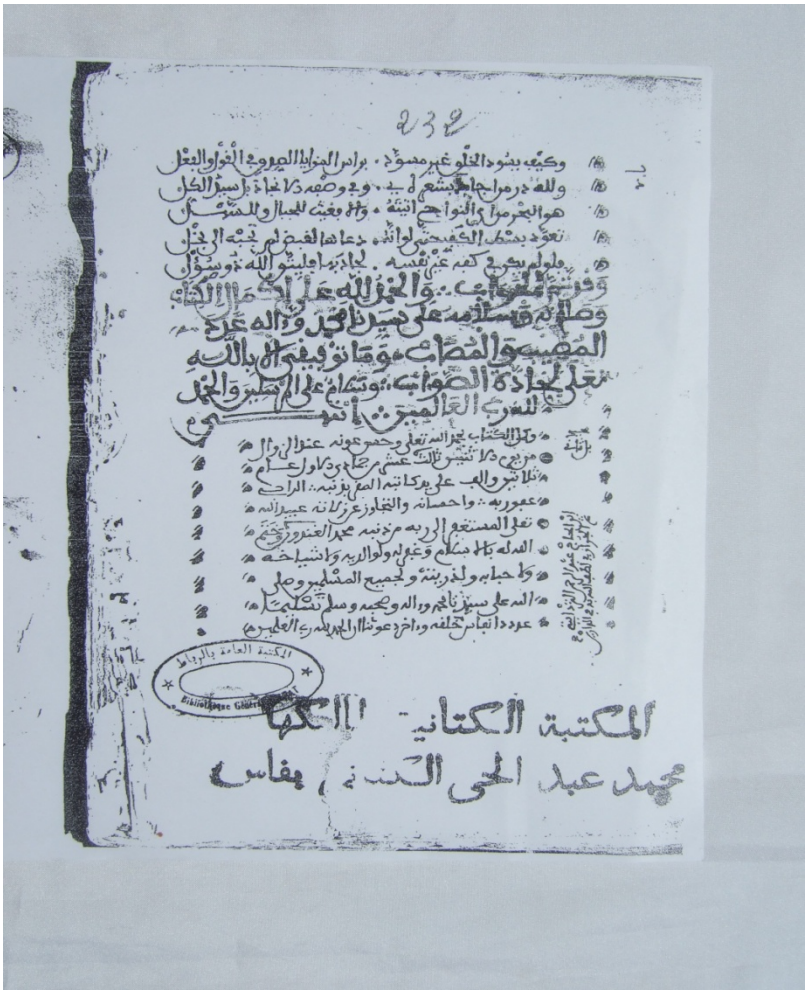

الورقة الأخيرة من المهراس (أحمد بن عبد الله، بدون سنة ﴿ب﴾: 232)

* قائمة المراجع:

- أبو محلي أحمد بن عبد الله، (بدون سنة ﴿ب﴾)، **مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النكوس السفلة المنخدعة**، مخطوط ضمن مجموع رقم 192ك، الرباط: الخزانة العامة.
- أبو محلي أحمد بن عبد الله، (بدون سنة ﴿ج﴾)، **منجنيق الصخور لعدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور أو لرمي البدعي الزنديق**، مخطوط ضمن مجموع رقم ق338، الرباط: المكتبة الوطنية.
- أبو محلي أحمد بن عبد الله، (بدون سنة ﴿أ﴾)، **أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت**، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- الحفناوي أبي القاسم محمد، (2007)، **تعريف الخلف برجال السلف**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون الشعبية.
- السكوني أحمد بن أبي بكر، (1991)، **تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد ابن سليمان بن أبي سماحة**، تحقيق طواهرية عبد الله، وهران: دار الأديب للنشر والتوزيع.
- القدوري عبد المجيد، (1991)، **ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الأصليت الخريت**، المغرب: منشورات عكاظ.
- بن محمد التمنطيطي عبد الكريم، (بدون سنة)، **الرحلة**، تمنطيط: خزانة أحمد ديدي.
- بن منصور عبد الوهاب، (1990)، **أعلام المغرب العربي**، الجزء الخامس، الرباط: المطبعة الملكية.
- بنعلي محمد بوزيان، (1987)، **واحة فكيك تاريخ وأعلام**، الدار البيضاء: مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر.
- بنعلي محمد بوزيان، (2000)، **فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي**، الطبعة الأولى، وجدة: دار النشر للجسور.
- بنعلي محمد بوزيان، (2005)، **فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع**، وجدة: مطبعةالجسور.

- حجي محمد، (1978)، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، الدارالبيضاء: مطبوعات فضالة.

- الزركلي خير الدين، (1980)، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين**،ج1،الطبعة5، بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

- واحيحي سعيد، (2009)، **مهدوية ابن أبي محلي الفيلالي؛ ومخطوطه تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة**، الرباط: Rabet Net.

- عبد الله طواهرية، (2002)، **تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي المتوفى سنة 946هـ-1540م**، غرداية: المطبعة العربية.

- jacques BERQUE, (1982), **Uléma fondateures insurgés du Maghreb XVIII siècle**, paris: la bibliothèque arabe sindbad.

- للإحالة على هذا المقال:

-مجدوب موساوي، (2020)، التعريف بمخطوطة﴿مِهراس رُؤوس الجَّهلة المُبتدعة ومِدراس نُفوس السَّفلة المُنخدعة﴾ للفقيه أحمد بن أبي محلي﴾ **المواقف**، المجلد: 16، العدد: 03 ، سبتمبر 2020، ص. ص 117- 140.